

الحرب السورية ربطت الشباب بثقافة العمل التطوعي

الدعم النفسي أحد جوانب العمل التطوعي الناشئة بين الجيل الجديد



توسع مفهوم العمل التطوعي لدى الشباب في سوريا في السنوات الأخيرة، وأخذ أشكالاً متعددة تنوعت بين العمل الخيري والإغاثي والتنموي مع تتالي الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي طالت جميع جوانب الحياة في سوريا، وياتت الحاجة ماسة لجهود الشباب خصوصاً مع تفشي وباء كورونا وضعف الإمكانيات الحكومية في التصدي له.

دمشق - شكلت الأزمات المتتالية خلال الحرب في سوريا حافزاً كبيراً للشباب لتأسيس الفرق التطوعية، ودافعاً لتبني ثقافة التطوع في المجتمع ضمن اختصاصات متنوعة كالنوعية والإغاثة والأعمال الخدمية، وساهمت بإحداث فرق ملموس في الكثير من الأحيان بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني.

وقبل الحرب السورية كان مفهوم التطوع غائباً تماماً عن الشباب السوري ولا يحظى بأي اهتمام باستثناء المنظمات الشعبية التي كانت روتينية وبعيدة عن الإبداع فكانت هناك جمعيات ذات صيغة أهلية أو دينية خيرية محدودة التأثير وتجارب خجولة.

لكن خلال السنوات الأخيرة، ومع تزايد الطلب على الخدمات الاجتماعية وضعف الإمكانيات الحكومية لتأمينها، بدأ هذا العمل بالتوسع حيث أخذ مفهوماً أكبر وبدأ يتأطر وينظم وفق أسس وضوابط عديدة، وأخذ أشكالاً متعددة تنوعت بين العمل الخيري والإغاثي والتنموي. وأصبح الاحتفال بيوم التطوع العالمي في الـ 17 من ديسمبر من كل عام مناسبة لدى الشباب السوري للتطوع والقيام بمبادرات متعددة خلال هذا اليوم.

منظومة عمل أخلاقية

أسست فرق التطوع منظومة عمل أخلاقية ربطت الشباب من مختلف الأعمار بالبلد بشكل أكبر، وحفزتهم على تقديم خبراتهم على جميع المستويات دون مقابل، ووصل عددهم لآلاف وذهب البعض منهم باتجاه تخصص الفرق بشكل جمعيات أو مؤسسات، مثل "سورية بنجعنا" و"بصمة شباب سورية" وغيرها الكثير، بينما بقي الكثيرون دون صفة رسمية.

وتضم المؤسسات التطوعية متطوعين من عمر 18 سنة فما فوق معظمهم ينتمون إلى الشرائح المثقفة فمنهم طلاب جامعات وأطباء وإعلاميون ومهندسون ومهنيون. وقامت بتنفيذ عدة مشاريع منها تقديم معدات حماية وقائية صحية للكوادر الطبية للتصدي لفايروس كورونا في المستشفيات العامة التي تعاني من نقص كبير في الإمكانات، إضافة إلى برامج دعم العائلات المهجرة والفقيرة وبرنامج تدريب وتأهيل الكوادر الشبابية، وحملات التوعية والتبرع بالدم وحملات النظافة.

وتقول ليلى عدرا المتطوعة في أحد هذه الفرق، إن "المجتمع في هذه الأوضاع الصعبة يحتاج إلى تكريس ثقافة التطوع بين الشباب، في المدارس والجامعات، فكل شخص قادر على أن يحدث فرقاً".

وأضافت عدرا في تصريح لـ "العرب"، "أن العمل التطوعي يحتاج أن يتجاوز الفكرة التقليدية بأنه عمل روتيني، إلى توفير البرامج التدريبية وأبحاث تتعلق

بأنشطة المتطوعين ودعم أكبر من قبل وسائل الإعلام لنشر ثقافة التطوع والتحفيز على المشاركة، والتعاون بين الجهات الحكومية والمؤسسات التطوعية".

وتنتشر على وسائل التواصل الاجتماعي عدد كبير من الصفحات التي تعود لفرق تطوعية ومؤسسات ومنظمات تعنى بالعمل المجتمعي والتطوعي، وتظهر النشاطات والمبادرات والمشاريع التي تنفذها هذه الفرق في أغلب المحافظات السورية.

وفي مدينة السويداء جنوب سوريا، يضم فريق "سواعد البازلت" التطوعي مجموعة شباب يمتلكون خبرة في مجال العمل الإنساني ويوظفون هذه الخبرات منذ بداية تطبيق الإجراءات الاحترازية لفايروس كورونا بإعداد قاعدة بيانات حول الأسر الأشد حاجة والأشخاص المتضررين نتيجة توقف أعمالهم بسبب الإغلاق وحظر التجول وذلك من خلال استبيانات يتم ملؤها وجمعها عبر صفحة باسم الفريق على فيسبوك إن كان عن طريق أصحاب العلاقة أو بمساعدة أحد معارفهم ليتم تقييم احتياجاتهم والتواصل مع مبادرات وجمعيات وجهات أهلية لإيصال العون اللازم لهم.

وتقوم المبادرة على بناء قاعدة بيانات متكاملة لتسهيل وصول المتبرعين والأطراف المبادرة إلى الأسر الأشد حاجة والتنسيق بينهما لضمان تغطية جميع احتياجات الأسر المسجلة بالاستبيانات دون تكرار استهداف الأسرة نفسها من قبل أكثر من مبادرة بالمادة نفسها، ولتأهيل أعضاء الفريق أنهم غير مخولين باستلام أي أموال أو تبرعات إنما هم بمثابة صلة



جهود المتطوعين تسد ثغرات الضعف الحكومي

والعمل التطوعي في سورية نوعان إما أن يكون وطنياً ضمن منظمة الهلال الأحمر السوري أو أهلياً ضمن المؤسسات الخاصة والجمعيات الأهلية، وفي غالب الأحيان، يحتاج المتطوعون إلى نوع من التأهيل أو التدريب من أجل الاستفادة من طاقاتهم. وبعضهم يحتاج إلى فترات زمنية أطول من الآخرين.

ويدرج العمل التطوعي تحت إشراف وزارة الشؤون الاجتماعية، لكن الوزارة لديها بعض التحفظات على الإشراف

ووصل بين المتبرعين والأسر الأكثر احتياجاً وتوثيق العون المقدم لها في الاستبيانات. وفي اللاذقية نفذ فريق نادي الشباب التطوعي العديد من حملات النظافة والتعقيم لمبان ومراكز ومؤسسات حكومية إضافة إلى توزيع المنشورات التوعوية حول الفايروس.

وشملت حملات التعقيم عدداً من أقسام الشرطة وفروع الهجرة والجوازات وأماكن التنزه والجمعيات والفن الألي ومركز طوارئ الكهرياء ومركز المياه بالإضافة إلى حملة توزيع ملصقات تثقيفية حول الفايروس. وأكدت روعة خليل أمينة الرابطة أن هذا هو الوقت الأمثل لتفعيل دور الشباب وتنشيط طاقاتهم وإمكاناتهم لخدمة المجتمع مشددة على أهمية تضافر الجهود بين جميع الأطراف للحماية من خطر الوباء العالمي.

بدوره، أشار يزن أطلي المنسوق الإعلامي للفريق إلى أن الهدف من هذه المبادرات نشر ثقافة العمل التطوعي وتعزيزها لدى الشباب مؤكداً الاستعداد الدائم للمساهمة لتجاوز هذه المحنة ومبينا الالتزام الكامل بالإجراءات الوقائية خلال العمل كارتداء الكمامات والقفازات وتوخي الحذر عند خلط المعقمات والحفاظ على مسافة أمان عند الاختلاط مع الآخرين.

ضعف التمويل

تحتاج المشاريع التي تقوم بها الفرق التطوعية إلى دعم مادي ولاسيما أن أغلب أعضائها لا يملكون فرص عمل، وتقول عدرا إن "غالبية الفرق التطوعية تحصل على تمويل متواضع من عدة جهات، جزء من داخل المؤسسة وجزء من خلال التعاون والتنسيق مع النقابات والاتحادات".

ويساعد ترخيص الفرق التطوعية وتحولها إلى مؤسسات مرخصة على تأمين مساهمة رجال أعمال والقطاع الخاص في تمويلها، ففي حملة "من حقي اليس" تعاونت غرفة الصناعة في حلب وشركة صناعات دنائبة محلية، وساهمت في توزيع ملابس 1500 عائلة مهجرة في عدة مناطق من مدينة حلب.

على عمل الهلال الأحمر لكونه ينضم تحت إشراف الاتحاد الدولي للصليب والهلال الأحمر. ويتجاوز عدد الجمعيات الخيرية والمؤسسات السورية المسجلة لدى الوزارة 1400 جمعية مرخصة ومسجلة، وفي حال كانت الفرق التطوعية لا تمتلك أي صفة رسمية أو شرعية، ينص القانون على عقوبات لمثل هذه التشكيلات.

عقبات وصعوبات

تتشرط الوزارة للتخصيص للجمعيات الخيرية عدم المساس بأي من الأمور السياسية أو الدينية أو ما يتعلق بأمن البلاد، أما الفرق التطوعية فلا توجد آلية لتخصيصها وفق القوانين والأنظمة. وتقول الوزارة، إنها كقطاع حكومي، لها دور توجيهي وإشرافي داعم ومن ثم رقابي عام ورغم ذلك يوجد بند في موازنة الشؤون الاجتماعية لدعم الفرق التطوعية لكن المبالغ المرصودة قليلة مقارنة بأعداد الجمعيات المتزايدة.

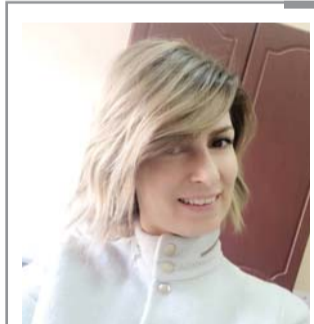
ويثير العمل التطوعي بشكله الحالي في سوريا في الكثير من الأحيان حالة جدل بين من يراه ضرورة إنسانية، ومن يعتبره أداة استغللت طاقة الشباب، ويتحدث آخرون عن وجود استغلاليين في صفوف المعنيين بالعمل التطوعي، يستغلون الأوضاع والأزمات لمصالحهم الشخصية، ما أدى في بعض الأحيان إلى تشويه صورة العمل التطوعي والأهلي.

يعترض المتطوعون الشباب العديد من العقبات والصعوبات أهمها الروتين في بعض مؤسسات الدولة التي تعيق معاملات تخص بعض الفعاليات والمبادرات. ويلفت العاملون في هذا المجال إلى أن العمل التطوعي، وإن تنامي مؤخراً، لكنه ما زال بحاجة للمزيد من التنظيم وإيصال فاعليته وكيفية لمختلف شرائح المجتمع، بغياب قناة جامعة لعمل كل المؤسسات والفرق والجمعيات الوطنية الأهلية التطوعية التي تعمل على الأرض.

ويقول أحمد علي طالب، وهو يعمل ضمن مجموعة من المتطوعين في أحد مراكز الإيواء في ريف دمشق "أعمل منذ بداية الأزمة في العمل التطوعي أنا ومجموعة من زملائي الشباب، نقوم بتقديم الطعام لسكان المركز الذين يصل عددهم لحوالي 1500 شخص".

التصدي للوباء بحاجة إلى طاقة الشباب

وأضاف "غالبية أفراد المجموعة يكرسون ما يقارب 3 ساعات يومياً من وقتهم بالتناوب في هذا المركز للمساعدة في تقطيع الخضّر وطهو الطعام للمهجرين، وتشعر براحة نفسية كبيرة لكوننا نساهم في تقديم شيء يساعد المتضررين من جراء الأزمة". وأشار إلى أنهم فريق تطوعي يعمل بشكل مستقل ولا يرتبط بأي جهة رسمية.



ليلى عدرا:

العمل التطوعي يحتاج أن يتجاوز الفكرة التقليدية بأنه عمل روتيني، إلى توفير البرامج التدريبية وأبحاث تتعلق بأنشطة المتطوعين

وتنتجة وجود شريحة كبيرة من الناس تحتاج للمساعدة المادية والمعنوية، خاصة الشريحة السكنية المهجرة قسرياً من المناطق السياحية إلى المناطق الأكثر أمناً، باتت هناك حاجة كبيرة لدعم العمل التطوعي من خلال الإغاثة المادية (السلل الغذائية) والمعنوية (فرق الدعم النفسي والاجتماعي).

ويساهم العديد من طلاب علم الاجتماع والتربية وعلم النفس بالدعم النفسي والاجتماعي كعمل تطوعي من خلال مؤسسات الرعاية الاجتماعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية. وجمع المشاركون بالأعمال التطوعية أن البلاد في أمس الحاجة خاصة خلال السنوات القادمة لجهود الشباب عامة وبجميع الاختصاصات للقيام بالعمل التطوعي. ويؤكدون أن تعزيز ثقافة العمل التطوعي تقع على عاتق جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءاً من الأسرة مروراً بالمدارس والجامعات وصولاً إلى الإعلام والمؤسسات الدينية التي تلعب دوراً كبيراً في هذا المجال.